آراء وأنباء

أطلس العالم وتشويه الأسماء

الدكتور شاكر الفحام

وقع بيدي منذ أيام : أطلس العالم ، وهو كما يقول صاحبه الأستاذ شارل جورج بدران : « أطلس جغرافي مصور ، طبيعي ، سياسي ، اقتصادي » . وقد تمّ طبعه في مطابع فالاردي سنة ١٩٧٨م .

أُعجبتُ ، وأنا أتصفح الأطلس ، بجمال الخرائط والصور التي حواها ، وراعتني المهارة الفائقة التي بدت في إتقان الألوان ، وحسن توزيعها .

ولن أعرض لصحة هذه الخرائط ، ودقة رسومها ، ولا للشروح المبسوطة التي قدمها الأطلس لمتصفحه ، فلستُ من فرسان هذا الميدان ، بل أترك بيان ذلك لأرباب هذا الشأن من الجغرافيين المتخصصين .

ولكني لن أنسى الصدمة التي مُنيت بها ، بعد الإعجاب الذي ملأني باديء ذي بدء . فقد بدأتُ أتعرف مواضع البلدان والمواقع على الخرائط ، فإذا الأسماء العربية مشوّهة تشويهاً غريباً لا يكاد يُصدّق . وأُسيتُ لما وجدتُ ، واستغربتُ أن تُنفق الأموالُ الطائلة لإخراج هذا الأطلس إخراجاً جميلاً ، ثم يضنّ صاحبه فلا يكلّف أستاذاً عالماً عارفاً بأسماء البلدان تدقيقَ الأسماء ، وإصلاح ما وقع فيها من أغلاط .

ولئن كان الأطلس يمور بالأسماء المشوهة إني لمقتصر على ذكر شاهد واحدٍ منها أراه كافياً في الدلالة على ما نزل بأسماء البلدان من تشويه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لا يُصدَّق ولا يُغتفر .

كنتُ أتتبع مواقع المدن في جمهورية أفغانستان (وهي جزء من الخارطة رقم ١٢ ، ص١٠٣) ففاجأتني أسماء :

هيرات ، كابول ، غزني ، كانداهار ، ترمس

وهي عرائس المدن في أفغانستان ، ولها تاريخ وشهرة في الحضارة العربية الإسلامية ، خرج منها العلماء الكبار ، وكان لها شأن أي شأن .

١ ـ أما هيرات (وكذلك جاءت في الخارطة رقم ٤٣) ، فصوابها : هَرَاة ، بفتح الهاء ، وتخفيف الراء ، والنسبة إليها : هَرَويّ . وهي مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان في عصر ازدهار الحضارة العربية . خرّجت كبار العلماء في شتّى العلوم والمعارف . يقول ياقوت في صفتها : « لم أر بخراسان عند كوني بها في سنة ٦١٧ ، مدينة أجلَّ ولا أعظم ولا أفخم ولا أحسن ولا أكثر أهلاً منها .... »[١] .

٢ ـ ولما أُعيد ذكر اسم (هراة) في الخارطة رقم ١٠ ، ص٩٤ ـ ٩٥ ، سميت : (حرات) ، بالحاء المهملة . فأضيف إلى الغلط الأول غلط جديد .

٣ ـ ثم ذكرت في فهرس الأسماء الذي جاء في ختام الأطلس باسم (هرات)[٢] .

فهذه ثلاثة أسماء مختلفة الرسم والنطق ، لمدينة واحدة . وقد أصابها التحريف والتشويه جميعاً .

٤ ـ وكان العرب المسلمون قد افتتحوا مدينة هراة صلحاً نحو سنة

(١) معجم البلدان (هراة) ، الروض المعطار : ٥٩٤ ـ ٥٩٥ ، وانظر بلدان الخلافة الشرقية لمؤلفه كي لسترانج ، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد (بيروت ـ ١٩٨٥م/ط ٢) : ٤٤٩ ـ ٤٥١ .

(٢) أطلس العالم : ٢٩١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٣١هـ ، في أيام أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، وقد اضطلع بأعباء الفتح عبد الله بن عامر والي البصرة .

وتحدث صاحب لسان العرب عن مدينة هراة والنسبة إليها ، وختم حديثه بأبيات جميلة قالها شاعر من أهل هراة لما اقتحمها عبد الله بن خازم سنة ٦٦هـ أيام الفتنة بخراسان ، وهي :

عاودْ هَراةَ وإن معمورُها خربا ... وأَسْعد اليوم مشغوفاً إذا طربا
وارجع بطرفك نحو الخندقَيْن ترى ... رزءاً جليلاً وأمراً مفظعاً عجبا
هاماً تَزقّى وأوصالاً مفرّقةً ... ومنزلاً مقفراً من أهله خربا
لا تأمنَنْ حَدَثاً قيسٌ وقد ظَلَمت ... إن أحدث الدهرُ في تصريفه عقبا
مقتّلون وقتّالون قد علموا ... إنا كذلك نلقى الحربَ والحرَبا(٣)

ومما قيل في هراة :

فإن تكُ هامةٌ بهراة تزقو ... فقد أزقيتُ بالمرْوَيْن هاما(٤)

٥ – وأما كابول فصوابها : كابُل ، بضم الباء الموحدة . وهي مدينة قديمة تردد اسمها في أشعار العرب منذ الجاهلية . قال الأعشى ، وسمَّى أهل كابل كابلاً :

ولقد شربتُ الخمر تر ... كضُ حولنا تركٌ وكابُلْ

وقال النابغة :

قُعوداً له غسانُ يرجون أوْبَهُ ... وتركٌ ورهطُ الأعجمين وكابُلُ(٥)

(٣) الكامل لابن الأثير ٣ : ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٨ ، ٦٢ (سنة ٢٩ ، ٣١هـ) ، الصحاح واللسان والتاج (هرا) ، وصدر البيت الأول من شواهد سيبويه (الكتاب ١ : ٤٥٧ ، النكت في تفسير كتاب سيبويه ٢ : ٧٥٧ ، وخرّجه محققه) .

(٤) اللسان (هوم ، زقا) ، التاج (زقا) .

(٥) معجم البلدان (كابل) ، الروض المعطار : ٤٨٩ ، معجم ما استعجم ٤ : ١١٠٨ – ١١٠٩ ، ديوان النابغة (ط.دار المعارف) : ١٢٢ ، تاج العروس (كبل) ، وانظر بلدان الخلافة الشرقية : ٣٨٨ – ٣٨٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٦ – وأما غزني فصحتها : غَزْنة ، بفتح أوله وسكون ثانيه . وهي مدينة عظيمة . يقول ياقوت : « وقد نسب إلى هذه المدينة من لا يعدُّ ولا يحصى من العلماء » . وقد ازدهرت غزنة غاية الازدهار في أيام سبكتكين وابنه محمود ، وكانت منزل بنيهم إلى أن انقرضوا[٦] .

٧ – وأما كانداهار فصحتها : قُنْدهار ، بضم القاف وسكون النون وضم الدال أيضاً . وهي مدينة مشهورة ، ذكرت في كتب الفتوح ، وتحدث عنها الشعراء . قال يزيد بن مفرّغ الحميري :

كم بالجروم وأرض الهند من قدم ... ومن سرابيل قتلى ليتهم قُبروا
بقُندهارَ ومن تُكْتَبْ منيتُه ... بقُنْدهار يُرجَّمْ دونه الخبرُ[٧]

٨ – وأما ترمس فصوابها : ترمذ . قال ياقوت في صفتها : « وترمذ مدينة مشهورة ، من أمهات المدن ، راكبة على نهر جيحون من جانبه الشرقي ... »[٨] .

٩ – ولما أعيد ذكر اسم (ترمذ) في الخارطة رقم ٤٣ ، ص١٩٠ – ١٩١ ، سميت : (ترميز) ، وكذلك جاء اسمها في فهرس الأسماء[٩] .

١٠ – ثم بحثتُ عن موقع مدينة بلخ ، فوجدتُ الأطلس قد أغفلها . وبلخُ ، كما يقول ياقوت ، من أجلّ مدن خراسان وأذكرها وأكثرها خيراً . وهي إحدى المدن الأربع التي كانت أمهات مدن خراسان : نيسابور ، ومرو ، وهراة ، وبلخ . افتتحها الأحنف بن قيس التميمي ،

(٦) معجم البلدان (غزنة) ، الروض المعطار : ٤٢٨ ، وانظر بلدان الخلافة الشرقية : ٣٨٧ .

(٧) معجم البلدان (قندهار) ، الروض المعطار : ٤٧٤ ، وانظر بلدان الخلافة الشرقية : ٣٨٦ .

(٨) معجم البلدان (ترمذ) ، الروض المعطار : ١٣٢ ، الأنساب للسمعاني (الترمذي) ٣ : ٤٤ – ٤٨ ، تاج العروس (ترمذ) ، وانظر بلدان الخلافة الشرقية : ٤٨٤ .

(٩) أطلس العالم : ٢٦٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكانت منزلاً للسلطان محمود الغزنوي يختارها لإقامته في أحايين كثيرة[١٠] .

١١ – وجاء عنوان الخارطة رقم ١٢ في الأطلس : المناطق الإيرانية القازوينية ، والصواب : القزوينية ، كما سُمّي البحر في الخارطة نفسها : بحر قازوين . والصواب : بحر قزوين ، نسبة إلى مدينة قزوين الشهيرة في إيران . وهي مدينة حظيت بعناية العلماء فألفوا في أخبارها ، وتحدثوا عن تاريخها ، وترجموا للمشهورين من أبنائها ، ومن حلَّ بها . ومن أشهر تلك المؤلفات كتاب : (التدوين في أخبار قزوين) لعبد الكريم الرافعي ، من رجال القرن السادس الهجري .

١٢ – ولكن بحر قزوين يرد اسمه على الصواب في الخارطة رقم ٢٥ ، ص١٤٤ – ١٤٥ ، وكذلك يجيء الاسم على الصواب في فهرس الأسماء[١١] .

١٣ – أما نهر هلمند فرسم اسمه على الخارطة نفسها (رقم ١٢) في مطلع النهر ، بغير ياء ، ثم رسم في نهاية النهر : نهر هيلمند ، بإضافة ياء بعد الهاء .

١٤ – وجاء في الخارطة رقم ١٠ ، ص٩٤ – ٩٥ ، أن النهر اسمه (هلمانا) ، وأما في الخارطة رقم ٩ ، ص٩٢ – ٩٣ ، فاسمه نهر هلمند . وكذلك ورد اسمه في فهرس الأسماء[١٢] .

١٥ – وقد اختلف البلدانيون العرب في ضبط اسم النهر ، فهو في معجم البلدان والكامل لابن الأثير نهر (هند مند) ، وهو عند آخرين :

---

(١٠) معجم البلدان (بلخ) ، الروض المعطار : ٩٦ ، الكامل لابن الأثير ٧ : ١٩٦ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ (سنة ٣٨٩ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧هـ) . وانظر بلدان الخلافة الشرقية : ٤٦٢ – ٤٦٥ .

(١١) أطلس العالم : ٢٨٢ .

(١٢) أطلس العالم : ٢٩٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

نهر (هير مند) .

وذكر صاحب بلدان الخلافة الشرقية أن الصيغة الحديثة للاسم هي : هيلمند ، بياء بعد الهاء[١٣] .

١٦ – وكان صاحب أطلس العالم قد ذكر في أطلسه الطريقة التي ارتضاها لكتابة الأسماء الجغرافية ، وأنه ثبّتها كما يلفظها سكانها .

واستثنى من ذلكُ المدن ذات الشهرة العالمية ، فقد ثبّت اسمها المتداول ، وإذا كان للمدينة اسم قديم اشتهرت به أكثر من الاسم الحالي كتب هذا الاسم بين هلالين[١٤] .

والأسماءُ التي أوردت من أكثر الأسماء شهرة وتداولاً ، تناولتها الكتب العربية على مدى قرون طويلة ، وعُرف بعضها منذ العصر الجاهلي ، فهي أحقُّ الأسماء أن تُثبت كما جاءت في كتب الجغرافيين والبلدانيين العرب . فان شاع لهذه المدن في العصر الحديث اسم آخر نطق به أهلها فلا بدّ في أدنى الحدود من اثبات الاسم العربي بين هلالين وفقاً للمنهج الذي اختطه صاحب الأطلس .

---

(١٣) معجم البلدان (هند مند) ، الكامل لابن الأثير ٧ : ٢٣٨ (سنة ٣٩٨هـ) ، وانظر بلدان الخلافة الشرقية : ٣٧٧ – ٣٧٨ .

(١٤) أطلس العالم : ٢٥٧ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net